الجوائح المائية في عصر الدولة المرينية ودور الدولة في مواجهتها (٦٦٨- ٨٦٩هـ/ ١٢٦٩- ١٤٦٤م)

أ. إبراهيم الشامى(*)

تعرض مجتمع المغرب الأقصى عصر دولة بني مرين وفي مرحلة تأسيس دولتهم لعددٍ من الجوائح المائية؛ كان لها أبلغ الأثر على مختلف نواحي الحياة فيها، وانقسمت إلى جوائح القحط والمجاعات وهي التي نتجت عن شُح وندرة الماء، وجوائح الفيضانات والسيول وحدثت عند زيادة تساقط الماء عن الحد المعتاد، ونتج عن الجوائح المائية الكثير من الآثار السلبية؛ مما استدعى تضافر جهود سلاطين دولة بني مرين من أجل مواجهة هذه الآثار، ومحاولة رفع الضرر عن الطبقات الفقيرة والمعدمَة.

معنى الجائحة:

الجائحة في اللغة هي «الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال»، ويدخل في معناها أيضاً الاستئصال لأنه من الاجتياح : «يقال جاحتهم السنة جوحاً وجياحة وأجاحتهم واجتاحتهم : استأصلت أموالهم»(١)، وتجيحه جياحة لغةً، فهي جائحة(٢)، ويتحد ويتطابق مع لفظ الجائحة مفاهيم أخرى لها نفس المدلول في المعنى والسياق، مثل النائبة «وهي ما ينوب الإنسان وينزل به في الملمات والحوادث»، كما ورد لفظ الجائحة بمعنى» المصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله»(٣).

ويعني لفظ الجائحة «ما أُتلف من معجوز عن نفعه عادةً قهراً من ثمر أونبات»، وأصلها في اللغة المصيبة العامة المُذهبة لمال، أولنفس أوغيرها(٤)، ويلاحظ أن

(*) باحث دكتوراه بقسم التاريخ – معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة.

المقصود بالجوائح والآفات : أموال الناس وأنواعها من موارد الرزق ومصادر المعاش، ونستنتج مما سبق تدخل قوة قاهرة وليس للإنسان أي دخل فيها؛ بدليل أنها ترد بلفظ « شدائد الدهر»، وتارة أخرى بلفظ « المهمات والحوادث»،وتحمل معنى الاستئصال والهلاك، وأحياناً أخرى تدل على الهلاك[٥].

واعتمد المفهوم الفقهي للجائحة على ما توصل إليه فقهاء المذهب المالكي، في تصنيف الجائحة من غيرها، وتحديد الآفات المعتبرة من وجهة نظر الفقه، على معياري : معرفة الأسباب الفاعلة فيها[٦]، وحجم الضرر الذي يترتب عليها[٧]، حيث اعتبر الإمام مالك المتوفى عام(١٧٩هـ/٧٩٥م) « الريح، والثلج، والبرد، والدود، والعفن، والغبار المفسد، جائحة»[٨]، في حين اعتبر ابن رشد الحفيد « القحط وضد له (السيول)» جائحة[٩]، وذهب ابن سلمون إلى أن الآفة إذا كان مصدرها « من العطش فهي موضوعة في القليل والكثير باتفاق»[١٠].

ويلاحظ من خلال المفهوم الفقهي للجائحة، أن مصدر الجوائح يعود إلى الاضطرابات المناخية الفجائية أوالدورية، التي لا دخل للإنسان فيها ولا قدرة له على ردها، بحيث لا تكون « إلا من أمر السماء لا من فعل الناس»، وهذا ما أشار إليه ابن رشد الحفيد موضحاً أن الجائحة « كل ما أصاب الثمرة من السماء»، وحسب ابن سلمون لا تحدث الجائحة إلا «من الآفات السماوية»[١١].

أولاً : جوائح القحوط والمجاعات :

عصفت بالمغرب الأقصى خلال عصر بني مرين عدداً من القحوط والمجاعات، كان لها أبلغ الأثر على المغرب الأقصى خلال هذه الفترة، وأدت إلى هلاك عدد كبير من سكانه وتغير في خريطته السكانية، فالماء كما أنه مادة الحياة وأهم وسيلة بعد الهواء لصحة الإنسان، ولكن فقده يُسبب الموت والهلاك للإنسان والخسائر الباهظة للزراعات والنفوق للحيوان؛ مما يسبب القحط والمجاعات؛ وهذا ما كان له أبلغ الأثر على الإنسان في عصر بني مرين، ويسبب الجفاف انخفاض كبير في إنتاجية الأراضي الزراعية[١٢]، فالماء هوالعامل الحاكم في ازدهار الحياة في المناطق الجافة، وشُح الماء هوالذي يمنع نموالنبات، ومن ثَمَّ الحيوان الذي يعتمد عليه[١٣].

نُكب المغرب الأقصى أواخر عصر الموحدين بعدد من القحوط؛ والتي أدت إلى مجاعات وغلاء الأسعار؛ فكان لها أبلغ الأثر على طبقة الفقراء والمعوزين، وهي الفئات الأكثر تضرراً بالمجاعات[١٤]، وندرك حجم ما عانى المغرب الأقصى من جوائح القحوط في أواخر عهد الموحدين، حتى قيام دولة بني مرين، إذا علمنا أنه في الفترة من٦٠٧هـ/١٢١٠م إلى٦٦٨هـ/١٢٦٩م ، قد عصفت بالمغرب الأقصى اثني عشر قحط[١٥].

ونجد أن المغرب الأقصى تنفس الصعداء باستتباب الأمور في المغرب الأقصى لبني مرين، والقضاء على الوجود الموحدي نهائياً في عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، ونجد ذلك جلياً في وصف ابن أبي زرع[١٦]، ويصف ابن أبي زرع ما عم المغرب من الخيرات بعد تولي المرينيين حكم البلاد « وفي السنة التي تولى فيها أمير المؤمنين يعقوب أنزل الله على أهل المغرب البركات، وفتح عليهم الخيرات، فرأى الناس فيها من الدعة والخير ما لا يوصف ولا يقوم أحد بشكره، بيع الدقيق فيها وفي مدينة فاس وجميع بلاد المغرب ربع بدرهم، والقمح ستة دراهم للصحفة، والفول وجميع القطاني ما لها سوم (سعر) ولا يوجد من يشتريها، والعسل ثلاثة أرطال بدرهم، والزيت أربعون أوقية بدرهم، ولحوم البقر مائة أوقية بدرهم، ولحوم الضأن سبعون أوقية بدرهم، والكبش بخمسة دراهم، والتمر ثمانية أرطال بدرهم، واللوز صاع بدرهم، والشابل الطري فرد بقيراط، وحمل الملح بدرهم؛ وذلك ببركته ويمن خلافته وحسن سيرته ونيته» ولعل في رخص أسعار المواد الغذائية في بداية عهد المرينيين أكبر دليل على الرخاء الذي ساد في بداية عهدهم.

ولم تزد فترة الرخاء في المغرب عن فترة يسيرة من الزمن حتى عانت من مجاعة سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م، حين عانت من غلاء شديد وخاصةً في سبتة[١٧]، وامتد أثر القحط والمجاعة في السنة التالية ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، حيث كان وقعها شديد على تيرجاجت[١٨].

وعصفت بالمغرب الأقصى مجاعة سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م، بسبب الجفاف الشديد بحيث لم ير الناس قطرة ماء حتى يوم السبع والعشرين من رمضان من

السنة المذكورة[١٩]، فترتب على ذلك حدوث مجاعة وارتفاع الأسعار « وصل القمح فيها عشرة دراهم للصاع[٢٠].

ولم تستمر فترة الرخاء في المغرب أكثر من أربعة أعوام، حتى عانت ورزخت تحت نير مجاعة سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، «فأصاب الناس قحط شديد، ولم ير الناس قطرة ماء حتى كان يوم السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة»[٢١]، وظلت موجة القحط مستمرة على المغرب حتى سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م[٢٢].

وتوالى القحط والمجاعة التي تتبعه على المغرب، ففي سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م حيث «جاءت الريح الشرقية المتوالية والجفاف الشديد، واستمر ذلك إلى أخر سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، فحرث الناس وحصدوا ما حرثوه من زرع بعد أربعين يوماً، ثم رحم الله بلاده وعباده»[٢٣].

ويأبى القرن السابع الهجري أن يترك المغرب دون فواجع ومجاعات، تقض من مضجع أهله ويُفني سكانه وتلقي بعدد ليس بقليل منهم في القبور، وتكبد من بقى منهم على قيد الحياة رزء وحمل قوته، فنُكب المغرب سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م بقحط ومجاعة شديدة، وصاحب ذلك موجة من الوباء العظيم بالمغرب[٢٤]، وعم بلاد المغرب وإفريقية ومصر فكانت الموتى تحمل اثنين وثلاثة وأربعة على المغتسل، وبلغ القمح عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواق بدرهم[٢٥]، ثم انجلى القحط بدخول عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م فصلح أمر الناس ورخصت الأسعار[٢٦].

وهكذا انتهي القرن السابع الهجري بعد عدد كثير من القحوط والمجاعات، والتي أنهكت قوة سكانه، ونجد تباين تساقط المطر من منطقة إلى أخرى مع كونها غير منتظمة، وهذا ما يُعد سمة من سمات الماء في المغرب الأقصى، فتتعاقب فترات ممطرة وأخرى جافة قد تدوم عدة سنوات[٢٧].

وبدأ القرن الثامن الهجري بأيام رغد وتوالي تساقط الأمطار، ولكن ما إن تولى السلطان أبوالربيع سليمان الحكم في الفترة(٧٠٨- ٧١٠هـ/ ١٣٠٨-١٣١٠م)،

والذي استمر حكمه مدة سنتين وخمسة أشهر، حيث شهد فيها المغرب غلاءً مطرداً طوال مدة حكمه، « وكانت كلها غالية لم يزل بها السعر مرتفعاً إلا إنها كانت ممعشة»[٢٨].

واستشرى القحط بالمغرب المريني سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م، « حيث كان بهذه السنة قحط، فاستسقى الناس له فخرج أمير المسلمين عثمان إلى إقامة سنة الاستسقاء»،[٢٩]، ويذكر أن الأمير قد قدم أمامه الصالحين والفقهاء والقراء في الاستسقاء يدعون الله لنزول المطر.

واستفاد المغرب بفترة استقرار امتدت لتصل لأكثر من عشرة أعوام، استطاع فيها المغرب المريني التمتع بالعيش الرغد، ولكن في سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م فُجِع المغرب بالقحط مع الريح الشديد، ففي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة هبت ريح شديدة بفاس ومكناسة وأحوازهما، واستمر هبوبها لمدة يومين وليلتين؛ فعاقت عن الأسفار وهدمت الدور وقلعت الأشجار[٣٠]، وكانت آثار جائحة الريح هذه كارثية على إنسان المغرب، فكبدته هدم بيته ومأواه.

واختلطت جوائح القحط والمجاعة بالريح المدمرة في الفترة٧٢٢-٧٢٦هـ/ ١٣٢٢-١٣٢٦م، «ففي سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م انتشر القحط والمجاعة بالمغرب الأقصى واستسقى الناس، وارتفع السعر»[٣١]، وولدت من رحم هذه المجاعة، مجاعة أخرى سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م، واشتد الغلاء بالمغرب، فبيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار[٣٢]، وزاد من حدة هذه المجاعة بالمغرب ارتفاع الأسعار في جميع البلاد، فبلغ المد من القمح في فاس خمسة عشر درهماً، والصحفة منه تسعين ديناراً وغلا الأدام وعدمت الخضر بأسرها، ودام ذلك إلى قرب منتصف السنة بعدها[٣٣]، ولم يهنأ المغاربة كثيراً بزوال القحط والمسغبة عنهم في أواخر عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، فلم يدم الرغد عليهم إلا بضعة أشهر، وأبتلي المغرب بقحط جديد سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م[٣٤].

وترافقت حوائج القحط والمجاعات في كثير من الأحيان، مع انتقال السلطة من سلطان لأخر في المغرب، مثل القحط الذي ألم بالمغرب عقب وصول السلطان

أبي زيان محمد الثاني المريني (٧٦٣- ٧٦٨هـ/ ١٣٦١-١٣٦٦م) سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م إلى السلطة، وترتب على هذا القحط انتشار وباء الطاعون[٣٥]؛ نظراً لشدة واستفحال القحط ؛ مما أدى إلى تفشي هذا الوباء بين بعض المدن المغربية.

ويربط ابن خلدون بين حدوث المجاعات وبين نقص الزراعة والتي أطلق عليها « قبض الناس أيديهم عن الفلح»، ويعزي وقوع المجاعة بسبب قلة احتكار (ادخار) الأفراد لغذائهم، ويُرجع وقوع الطاعون؛ نتيجة لكثرة المجاعات أولكثرة الفتن، ونتج عن ذلك « تلوث الهواء نتيجة للعمران وكثرة الازدحام، مما يؤدي إلى انتقال الفساد بين عدد من المصابين، فإذا كان الفساد قوياً وقع الطاعون»[٣٦].

ويصور ابن الخطيب الوضع الكارثي الذي تعرض له المغرب الأقصى نتيجة للقحط، « وانتهى أمر هذه السنة (٧٦٣هـ/١٣٦٢م) الشهباء الإصحائية إلى العشر الأخر من يناير العجمي (١٣٦٢م)، الموافق لأخريات ربيع الأول من عام ثلاث وستون وسبعمائة، ممسكة شحاً وظهر طاعون بأرض مكناسة وفاس وتازة»[٣٧].

وفتكت بالمغرب موجة أخرى من القحط ألقت على كاهل إنسان المغرب المريني عناءً جديداً، فقد عصفت بالبلاد موجة جدب حاد سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م[٣٨]، ولندع ابن قنفذ يتكلم ويخبرنا عما رآه في هذه المجاعة «ففي هذه السنة كانت المجاعة العظيمة بالمغرب وعم الخراب، فأقمت بتلمسان نحواً من شهر أنتظر تيسر سلوك الطريق، فالتجأت إلى قبر أبي مدين ودعوت الله عنده، فوقع ما أملته وارتحلت بعد أيام يسيرة... وكان أمر الطريق في الخوف والجوع، بحيث أن كل من أقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين»[٣٩]؛ وهذا ما يشير إلى حجم القحط والجوع الذي انتشر في كل مكان وفي مختلف أرجاء الطريق؛ وتَرَبت على ذلك الخوف من السرقة وفقد الأمتعة للمسافرين في هذه المناطق المنكوبة بالقحط؛ وبالتالي يدل دلالة قاطعة لمقدار ما تُحدثه القحوط والمجاعات من أثار سلبية واجتماعية وخيمة على المجتمع؛ مما يؤدي إلى اختلال الأمن وانتشار السلب والنهب في مثل هذه الظروف.

وتعدى ذكر جائحة سنة ٧٧٦هـ في كتب المؤرخين إلى كتب النوازل، ففي إحدى النوازل الفقهية ورد ذكر لهذه المجاعة في السؤال الذي وجه للفقيه «عام المجاعة الكبرى الواقعة عام ست وسبعين»[٤٠].

ويأبى القرن الثامن الهجري أن يرحل عن إنسان المغرب المريني دون أن يصيبه بقحط أخر، فلم يسدل القرن ٨هـ/ ١٤م ستاره إلا بقحط شديد ، وكان ذلك في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني (٧٩٦-٧٩٩هـ/١٣٩٣-١٣٩٦م)، وعانى من وطأته المستضعفون أكثر من غيرهم[٤١].

وتبدلت أحوال المغرب الأقصى مع نهاية القرن الثامن الهجري، فقد ظلت تعاني من آثار الطاعون التي تعرضت له مع للقحط والمجاعة في منتصف القرن الثامن، وترزخ تحت نير ما رُزئت به من آثار الطاعون الجارف الذي « تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها»[٤٢].

ولقيت فاس محنة أخرى أثناء حصار السلطان أبوسعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم(٨٠١-٨٣١هـ/١٣٩٨- ١٤٢٧م) لها، سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م وقع الفساد في تلك البلاد واستولى المفسدون، وقُطعت الطرقات، ومات بفاس من الناس ما لا يُحصى عدده جوعاً، ثم أعقبه الوباء؛ حتى كان الدُّوار لا يرى فيه أحد حيّ[٤٣].

واستهلت سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م بانتشار القحط والغلاء في فاس مع تفشي وباء الطاعون، الذي زاد من ضعف دولة بني مرين ضعفاً أخر؛ فكان نتيجة ذلك ثمن باهظ من أرواح الفاسيين الذين واجهوا الموت، فقد أُحصى أهل فاس من مات منهم في شهر واحد، فكانوا ستة وثلاثين ألفاً؛ حتى كادت البلاد أن تفنى من أهلها[٤٤]، ويبدوأن انتشار وباء الطاعون في هذه السنة شمل مدن وأقطاراً كثيرة من العالم الإسلامي، فقد انتشر بمصر وطرابلس الغرب، حتى قِيل أن أهل اصبهان لم يبق منهم إلا النادر[٤٥].

وهلك عدد كبير من العلماء والأعيان وكثير من العامة في سنة ٨٤٦هت/ ١٤٤٢م، نتيجة للقحط، وانتشر الوباء الذي نتج عن القحط في هذه السنة، ويسمى هذا الوباء عند أهل فاس بوباء عزونة[٤٦]، وهذا ما يدعوللتساؤل عن العلاقة بين القحوط وما يتبعها من الأوبئة؟؟!!.

ونصل مما سبق إلى نتيجة هي : رغم أن الماء له دور رئيسي في حياة كل الكائنات، ولكن نجد أن ندرة الماء أوقلته أدت إلى القحط؛ مما أحدث مجاعات كثيرة في عصر بني مرين بالمغرب الأقصى ونتج عن هذه المجاعات موت عدد

كبير من السكان، ولكن كانت وقع هذه المجاعات أكبر على عامة الشعب والفقراء والمعوذين، وهم الذين دفعوا القسط الأكبر من نتائج الأوبئة والمجاعات؛ وذلك لرقة حالهم وهم الطبقات الأكثر تأثراً بنقص المواد والسلع الغذائية، ويلاحظ أن هذه القحوط وما نتج عنها من مجاعات كانت سبباً في مجاعات أخرى، ولدت من رحمها وما زالت تكبر وتتكاثر حتى تولد فاجعة أوكارثة ومجاعات أكبر.

ثانياً : جوائح السيول والعواصف :

أحدثت العواصف والسيول أثر سلبي ومدمر في الأجزاء المنكوبة بها، وعاقت حركة السكان ودمرت القناطر والجسور، سببت كثيراً من التلف للمحاصيل الزراعية والبيوت وللمزارع، وقد يأتي على مدينة بأكملها فيهدم دورها ويقتلع بنيانها؛ لذلك يجب أن يكون موقع المدن بعيداً عن مصبات السيول(٤٧).

وتأتي أول إشارة عن السيول التي تعرض لها المغرب الأقصى في العصر المريني، عن السيل الذي ألم بمنطقة تامسنانتيجة للأمطار العاصفية سنة٦٧٧هـ/ ١٢٧٨- ١٢٧٩م، فتوالت الأمطار والرياح والسيول، وسقطت الأمطار ليلاص ونهاراً، مما نتج منع الجيوش المرينية العازمة على التوجه إلى الأندلس بغرض الجهاد، بقيادة السلطان يعقوب بن عبد الحق، حيث توالت عليه الأمطار والرياح والسيول، «ولم تزل الأنواء مصطخبة لا يفتر المطر ليلاً ولا نهاراً؛ فلم يستطع الرحيل لأجل ذلك»(٤٨)، وإذا كانت السيول قد أعاقت تقدم الجيوش، فالراجح أن هذه السيول تسببت في خسائر فادحة لسكان هذه المنطقة، وأضرت بالبنية الزراعية والبنية السكانية.

وشهد المغرب الأقصى خلال الربع الأول من القرن الثامن الهجري عدداً من السيول والعواصف المتفاوتة الخطورة والشدة، ففي سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م حدثت اضطرابات مناخية ببعض المدن المغربية ونواحيها، وهطلت سيول جرفت الضياع وقطعت سبل الاتصال بين المدن وضواحيها « وفي هذه السنة هبت ريح شديدة بمدينة مكناسة وفاس وتازة وأحوازهما، واستمر هبوبها يومين بليلتيهما، هدمت الديار وقلعت الأشجار ومنعت الأسفار، وقلعت من زيتون مكناسة شيئاً كثيراً»(٤٩).

وساعد على كثرة السيول تعرض المغرب الأقصى لفترات طويلة من فصل الشتاء مهيأة لهطول الأمطار، فيبدأ فصل الشتاء من منتصف أكتوبر ويشتد المطر في يناير، ويقل الشتاء والبرد في شهر فبراير، ويتوقع هطول الأمطار في أواخر إبريل وبداية مايو، وقد تسقط في شهر يوليووأغسطس في بعض السنين[٥٠]؛ وامتداد فترات هطول الأمطار يزيد من احتمال حدوث سيول وفيضانات.

ولم يتسن لسكان مدن المغرب التقاط الأنفاس ونسيان فواجع وسيول سنة ٧٢٢هـ، حتى أُبتلي معظمهم بمجاعات شديدة وغلاء مفرط؛ وذلك نتيجة لأمطار شديدة أعقبها ثلوج متراكمة سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، وترتب على ذلك انعدام ضروريات العيش الأساسية()،وفي هذه الأجواء الباردة تعدم أدوات التدفئة وتندر، وهذا ما حدث في هذه السنة، فقد عُدم البياض (الفحم) والحطب؛ حتى بيع الفحم في فاس بدرهمين للرطل[٥١].

واستمرت جوائح السيول على المغرب الأقصى، ففي يوم الثلاثاء الثالث عشر من رمضان سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م، واجهت فاس سلسلة من كوارث السيول، وجاء وصف ابن أبي زرع لسيول ذلك العام كان أشد تفصيلاً وأكثر إيضاحاً، فقال :» نشأ بخارج فاس من جهة جوفها سحاب عظيم وظلمة شديدة وإعصار عظيم، وأعقب ذلك برد عظيم الجرم زنة الحجر منه أربع أواقي وأقل وأكثر، ونزل منه أمثال الجبال وفي خلاله مطر وابل، فجاء منه السيول الطاغية، فحملت الناس والدواب والمواشي والبقر والخيل والإبل والدواوير، وجاء سد رواغ بسيل عظيم، هلك فيه بشر كثير من الناس، ما يزيد على مائة وخمسين نفساً»[٥٢]، وأهلكت جميع ما بجبل زالع من الكروم والزيتون وسائر الشجر»[٥٣].

ولم تلتقط مدينة فاس أنفاسها حتى مُنيت بكارثة سيل عاتية سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، أزهقت كثير من الأرواح غرقاً وطمرت ردماً؛ مما مهد الطريق لتفشي الأوبئة بعد تحلل جثث من لقوا مصرعهم، وأتت على ما تبقى من المؤسسات والموافق الاقتصادية الاجتماعية والدينية، «وفي ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى الأولى من السنة المعروفة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، موافق العاشر من مايو، أتى سيل

بوادي مدينة فاس لم يُعهد مثله، فهدم السور وحمل الشِبَاكْ وخرب الجنات، وقلع الأشجار العظيمة وهدم القناطر والديار، وخرب جزاء ابن برقوقة، ودور الرصيف وبعض دور البرزخ، وسوق الصباغين وسوق الرصيف وهدم القنطرة الكبيرة التي عليها سوق باب السلسلة وهدم سوق الرميلة، وكان جملة من هلك فيه من الناس المعروفين بأسمائهم دون من لم يعرف سبعمائة وثلاثين نفساً، ومن الديار ألف دار ومائة دار، ومن المساجد خمسة ومن الأرحاء ثمانية بيوت، ومن الأفران اثنين، ومن الحوانيت أربعة وتسعين حانوتاً»(٥٤).

ويتضح حجم الكارثة التي ألقت بكلكلها على المغرب الأقصى المريني، وحجم الخسائر التي نتجت عن هذه الفاجعة، فلم ينج من تلك الجائحة حتى المساجد، وقام الأمير أبوالحسن المريني بترميم وإعادة بناء ما جرفه السيل ، ومنها بناؤه للقنطرة التي عليها سيل وادي فاس سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، كما رمم عدد لا يحصى من القناطر والجسور في مناطق مختلفة من البلاد(٥٥).

ولم تنج مدينة سجلماسة من البرد، وهذا ما لاحظه ابن بطوطة من تراكم الثلج في الطريق الخارج من سلجلماسة، وهذا ما يطلعنا عليه ففي أثناء عودته من السودان الغربي، بعد رحلته إليها في أول المحرم سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م، وفي أثناء عودته من رحلته وخروجه من سجلماسة في ثاني ذي الحجة من العام المذكور، رأى ركام الثلج «وذلك أول البرد الشديد، ونزل بالطريق ثلج كثير، وقال: لقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير ببخارى وسمرقند وخراسان وبلاد الأتراك، فلم أر أصعب من طريق أم جُنَيْبة»(٥٦).

وأرغمت الرياح وأعاصير قوية السيول الجارفة السلطان أبوعنان فارس المريني سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م على الرحيل عن وجهته إلى قسنطينة، ففي أثناء توجهه لإخضاعها في العام المذكور فوجيء بالمطر الشديد، الذي تحول إلى سيول جارفة وكاسحة؛ وعجز رجاله عن تغيير مجراها، مما اضطر السلطان أن يُخلي المكان، وأن يرجع ثانيةً من حيث أتى، عندما عجز رجاله عن تحويل مجرى السيل بعيداً عن محلته (٥٧).

وهبت ريح عاصف سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م، أعقبتها رعد ومطر شديدين، نتج عنها أمراض فتاكة، « وعصفت الريح الرجف....، ودامت فاستأصلت الأوراق من الورق الدهين الذي لا يسقط،..... ثم اقتادت بآخره سحاباً.... ثم تثاقل ومال إلى الدكنة، ثم توالى صوبه ....، فسالت الأرض وانبسطت النفوس، وهوى السعر بعد سموه في درجة توقع الشدة»[٥٨].

خامساً : جهود بني مرين في الحد من آثار الجوائح :

لم يدخر بنومرين وسعاً ولا جهداً من أجل رفع الضرر ومساعدة المحتاجين وقت المسغبة، وتنوعت جهودهم من مشاركتهم عامة الشعب في طلب السقيا ونزول الماء، كذلك في محاربة من قاموا بالسلب والنهب والمحتكرين، وكذلك من الإنفاق من المخازن السلطانية على عامة الشعب وقت المسغبة والحاجة الملحة للماء والغذاء، أوتوزيع الأراضي الزراعية على الفقراء والمعدمين.

١- طلب الاستسقاء :

لم يقف إنسان المغرب الأقصى أمام فواجع القحوط والمجاعات مكتوف الأيدي، بل قاموا بطلب السقيا من أجل نزول الغيث، وينبغي لولي الأمر أن يدعولنزول المطر؛ «والملك يدعوإلى نزول الأمطار لأمرين : أحدهما ما ينتج عن نزول المطر من الخصب والدعة والراحة، واستكمال ما كان ناقصاً في البدومن أحوال العمران، والثاني : لدفع النزاع المتوقع على الماء في حالة فقده[٥٩]؛ لذلك «يتعين على الملك والحاكم أن يدعوإلى نزول الأمطار»[٦٠]؛ لأنه هوأولى الناس عناية بعموم الرخاء في قطره.

وأدى تكرار القحوط وما ينتج عنه من مجاعات في المغرب الأقصى بصورة مستمرة، إلى لجوء أهله إلى طلب السقيا ونزول المطر عن طريق إقامة صلاة الاستسقاء[٦١]، فأقدم المغاربة على صلاة الاستسقاء لنزول وسقيا العباد وإحياء الأرض[٦٢]، وأدرك حكام وسلاطين المغرب الأقصى خطورة القحط وما ينتج عنه من مجاعات وأوبئة، فقام كثير منهم بمشاركة شعبه في طلب السقيا ونزول المطر[٦٣].

وأدركت العامة أنه لابد من تقديم الصالحين عند طلب نزول الأمطار لإغاثة العباد، والاستشفاع بهم عند الله لنزول المطر[٦٤]، وهذا ما قامت به العامة عندما أصابهم القحط، فقاموا بتقديم المدرس والمفتي أحمد ابن أبي زرع، والذي تولى الإمامة والخطابة بجامع القرويين، فقدموه للاستسقاء بهم، «فخرج بهم خارج باب الفتوح، وقدم بين يديه الشرفاء؛ فُسقِيَ الناس وحمدوا على إجابة دعائهم»[٦٥].

وأدرك سلاطين بنومرين أهمية الإنفاق على الفقراء والمعدمين من أجل نزول المطر، والاستزادة من الزاد الروحي لبعض الصالحين؛لأن عملهم الصالح هوأشد ما يصلح لهذه المهمة، التي تتطلب الاتصال بالله تعالى، وهوما تقصر عنه السلطة الزمنية للسلاطين والأمراء، وتنوب عنها القوة الروحية، لأضعف العباد ممن لهم قرب مع خالقهم وأنس به[٦٦]، فسقي العباد لا تصلح إلا من المخلصين الصالحين[٦٧].

وهذا ما فطن له سلاطين بني مرين، فعندما أقدم السلطان أبوسعيد على صلاة الاستسقاء، نتيجة لما أصيبت به فاس بالقحط سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م قام باصطحاب الصلحاء ووزع الصدقات على الفقراء؛ وخرج ماشياً على قدميه مُظهراً الخضوع والورع، واتجه إلى قبر الشيخ الصالح أبي يعقوب الأشقر(ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، « فدعا الله تعالى هناك فقبل المولى دعاءه، ورحم بلاده وأغاث عباده، ولم يرجع من هناك إلا بالمطر العام لجميع البلاد»[٦٨].

كما قام أهل فاس بصلاة الاستسقاء نتيجة للقحط الذي أصابهم سنة، ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، ولم ينهمرالماء بصورة كافية، فاستمر القحط» وارتفع السعر وبدأت المجاعة»[٦٩]، وكثير ما استسقى أهل المغرب الأقصى بدعوة الصالحين أوأحدهم، والذي إذا دعا الله سبحانه في وقت القحط، استجاب، فأنزل الله المطر[٧٠]، ووجد بعض الصالحين في المغرب الأقصى من إذا دعا ربه بالسقيا أجابه[٧١].

٢- الحد من آثار الغلاء والاحتكار.

لم يعدم العصر المريني وما قبله من وجود بعض المحتكرين، وخاصة في الفترة التي شهدت الصراع الموحدي المريني، فعمل بعض المحتكرين على احتكار بعض المواد والسلع وأرادوا من ذلك تحين الفرص لغلائها؛ مما يُصيب الناس من آثار الجوائح المائية

من القحط والسيول، وانتشرت في فترات المسغبة والمجاعات الناتجة عن الجوائح المائية، منهج وسلوك الاحتكار مما دعا العلماء يحاربون ذلك،» أن لا يزاحم(التاجر) الناس حين شرائه، بل ينبغي أن يأتي آخر النهار، فإن فضل شيء عن المسلمين في ذلك اليوم اشتراه وإلا فلا، وتكون نيته أن يبيعه في شهر غير معين، غلا السعر أم رخص»[٧٢].

ويتم الاحتكار من خلال تعاون وتعاضد كل من السماسرة والدلالين مع المضاربين؛ ولذلك أمر المحتسب « أن يُنهي الدلالون أن لا يبيعوا من محتكر أكثر من عولته، ويتوقف ذلك منهم فهوسبب لغلاء السعر»[٧٣]، ولا يسمح للدلال الذي يشتكي منه الناس أن يعمل دون تأديب، فإذا اشتكى الناس من الدلال أُدب[٧٤].

وتدخل المحتسب ومعاونوه لمكافحة ظاهرة الاحتكار والمحتكرين، واختلف ما قام به المحتسب بين فترات وأطوار القوة والضعف التي مرت به الدولة، ففي طور القوة والازدهار قام المحتسب بدور كبير في مراقبة وملاحقة المحتكرين، ومطاردة المتلاعبين بالأقوات من أجل حماية المجتمع من تجاوزات التجار[٧٥].

ويستطيع المحتسب أن يسعى لضبط السوق، ورصد تحركات المحتكرين وإرغام التجار على بيع سلعهم بالسعر المتداول وعدم رفعه، وإذا وجدت لدى المحتكرين أقوات يتوقف عليها الاستهلاك اليومي للفرد، يُصدر المحتسب وأعوانه أحكاماً زجرية تتناسب مع طبيعة وحجم الجُرم الذي اقترفه المحتكر، فمنها أن تُباع السلعة التي تم حجزها « ويكون لهم رأس مالهم، والربح يتصدق به أدباً لهم وينهون على ذلك، فمن عاد ضرب وطيف به وسُجن»[٧٦].

وطُبقت في وقت المسغبة والجوع عدد من الإجراءات التي تؤدي إلى عدم الاحتكار، بأن « لا يُترك حاضر يبيع لباد، وذلك في كل مجلوب من الأطعمة وما أشبهها، ولا يترك أهل الحوانيت وسائر أهل الادخار أن يقتنوا شيئاً من إدام وغيره مثل الزيت العسل والسمن والتين، وما أشبه ذلك مما للناس حاجة لا يحتكرونه»[٧٧]، وللمحتسب أن يصدر من الأوامر بمنع التجار من اعتراض سبيل أهل البوادي إذا أتوا بالطعام إلى السوق[٧٨]، وأن لا ينزلوه في الدور[٧٩]، ولا في الفنادق من أجل ألا يستأثر به الحناطون والتجار؛ ويتحكموا بعد ذلك في ثمنه فيرتفع السعر[٨٠].

ووقف المحتسب على طرق ووسائل الدلالين والمحتكرين؛ من أجل تحقيق الربح والسريع في وقت قليل، ويكون على علم بما يكون بين الدلالين والمحتكرين من تحالف من أجل الإضرار بالفقراء والضعفاء « فلا يُباع من الحنطة ممن يُعرف أنه محتكر أكثر من قفيز، فإنهم يتفقون مع الدلالين في سوم الشراء، وينهضون إلى منازلهم، ولا يحضرون كيلاً وغير ذلك، والدلال يكيل ويرسل له الجملة كلها، ولا يشتريها أحدُ سواه.....وهذا مما يُغلى السوم ويرفع السعر»[٨٠]، وهكذا نجد أن الهدف من منع الاحتكار أن « لا يستبد أهل القوة بالسلع دون الضعفاء»[٨١]، والمساكين[٨٢].

وفطن المحتسب ومعاونوه إلى كل الأساليب التي اتبعها المحتكرون، وكل المستغلين لأقوات الناس، والتي تبلغ أقصاها وقت المسغبة[٨٣]، مثل شراء في الغلاء قوت سنة[٨٤]، ومحاولة التواطؤ بين المحتكر والدلال من أجل رفع السعر على العامة، واستحواذ المحتكر على القوت[٨٥].

٣- إنفاق السلاطين في المجاعات.

استجاب الحكام لنداء المجاعة والمسغبة، وحاولوا رفع الضرر عن رعاياهم ما وسعهم إلى ذلك سبيلاً، فلم يألوا جهداً في ذلك، فقد قام السلطان أبوسعيد المريني بالاستجابة للغلاء وقلة الأقوات، الذي أعقب المجاعة التي أصابت المغرب الأقصى سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م وسنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، فقام بإفشال خطة الاحتكار فأمر « بفتح أهراء الزرع.... فبيع أربعة دراهم للمد، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهماً»[٨٦].

وكما أصلح السلطان أبوسعيد عثمان الآثار المدمرة لسيل سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، وقد أتى هذا السيل على مجموعة من المرافق والمنشآت، ومنها قنطرة آخر سوق الصباغين، «فينبغي للبلد إذا تعطل شربه أوانهدم سوره؛ أن يكون إصلاحه على بيت مال المسلمين»[٨٧]، فشرع السلطان أبوسعيد عثمان عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م ببناء هذه القنطرة[٨٨]، واستمر في العمل التكافلي من أجل رفع المعاناة عن شعبه، ومحاولة لإزالة أثر الجوائح المائية.

ولتخفيف أثر المجاعات قام السلطان أبوالحسن المريني برعاية للفئات الأكثر تضرراً من المجاعات، والذين يتأثرون من الاحتكار، وهذه الفئات هم اليتامى والمساكين،

«وأجرى لسائر الأيتام من سائر القبائل ما تتمشى به أحوالهم، ويستغنون به عن التكفف والعالة، فسوغ لهم فيما علمت محرث زوجين ومجباها في كل وطن بحسب خراجه وجبايته،..... فلا يكاد يقع بصرك على يتيم في بلاد المغرب إلا وهومكفول»[٨٩].

وأمن السلطان أبوالحسن المريني بأهمية الإنفاق والتكافل الاجتماعي أثناء المجاعة والمسغبة، وسد جوع طبقات الفقراء والمعوذين، وهم الطبقات الأكثر تضرراً من جوائح الماء، وفي محاولة لكسر حاجز الاحتكار والغلاء من بعض المستغلين للمسغبة، فقام بالإنفاق بسخاء وقت المجاعات» فكم من سنة مسنهة عال فيها إمامنا(أبوالحسن المريني)- رضي الله عنه-محاويج أهل بلاد المغرب عموماً، يُخرج زرعه المختزن الخاص به؛ فيقيم به أود المحاويج عموماً في كل ليلة بطول الجدب»[٩٠]، ويظهر حجم الإنفاق الذي قام به السلطان أبوالحسن المريني وقت المسغبة، فوالى الإنفاق على كل المحاويج بطول الأيام، وهذا ما يخبر عن مقدار وحجم الإنفاق ليلاً ونهاراً على كل المحتاجين.

وقام السلطان أبوعنان المريني بمد جسور الإنفاق على كل المحتاجين وقت المسغبة، فقام بتلبية حاجات المحرومين، « فكان يُطعم بين يديه ويتولى القيام عليهم بنفسه، ويُلزم قواد قصب(عواصم) البلاد بذلك طول الجدب»[٩١].

وسار السلطان أبوعنان فارس المريني على درب أبيه، في الإنفاق والتصدق على الفقراء والمعوذين والمشايخ، وفي بذل المعروف إلى كل المحتاجين، « فاخترع مولانا(أبوعنان فارس)أيده الله في الكرم والصدقات، أموراً لم تخطر في الأوهام ولا اهتدت إليها السلاطين، فمنها إجراء الصدقة على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام، ومنها تعيين الصدقة الوافرة للمسجونين في جميع البلاد أيضاً، ومنها كون تلك الصدقات خبزاً مخبوزاً متيسراً للانتفاع به، ومنها كسوة المساكين والضعفاء والعجائز والمشايخ الملازمين للمساجد بجميع بلاده، ومنها تعيين الضحايا لهولاء الأصناف في عيد الأضحى، ومنها التصدق بما يجتمع في مجابي وأبواب بلاده يوم سبعة وعشرين من رمضان، إكراماً لذلك اليوم والقيام بحقه، ومنها إطعام الناس ليلة المولد الكريم واجتماعهم لإقامة رسمه، ومنها إعذار اليتامى من الصبيان وكسوتهم

يوم عاشوراء، ومنها صدقة على الزمنى والضعفاء بأزواج الحرث»[٩٢]، وهذا ما أوصى به الفقهاء أن يُعطى من المال من المستحقين ذوي الحاجات، وأن يكون العطاء بحسب منفعة الرجل وحاجته[٩٣].

كما قام بعض السلاطين المرينيين مثل السلطان أبوالحسن المريني بعدد من الإصلاحات، كان الهدف منها رفع المعاناة عن كاهل أهل المغرب الأقصى، والتقليل من حالات الاحتكار والغلاء، التي غالباً ما تصيب طبقات الفقراء والمعدمين وتزيد من فقرهم، ومن الكلف الضريبية التي أسقطها أبوالحسن المريني عن شعبه : فوائد المروس، ووظائف استغراق السلع، واكتراء الولاة للبلاد، والمغارم الوظيفية على الرؤوس، والخرص والبرنس والضيافة والقاعة والخطيئة، كما رفع مغرم الماء، وأسقط عن أهل الذمة، وأسقط عن أهل سجلماسة المغرم الذي يسمى الجمون في النخل والزرع[٩٤].

وخفف هذا من حدة الاحتكار والغلاء، وساعد في كثرة الخيرات وتهدنت البلاد، وصلح أمر من فيها من العباد، وهذا ما شجع التجار على إخراج السلع، وبيعها لقاء أسعار مقبولة[٩٥]، وأكد على حقيقة وضع المغارم عن الناس، والإنفاق وهذا ما دعا إليه الإسلام من التكافل والتآزر والتعاضد وعدم إمساك المال وخاصة وقت الجوائح والأزمات[٩٦].

ونصل مما سبق إلى نتائج هي : كان لوقع وأثر جوائح القحط دور كبير في اتجاه إنسان المغرب الأقصى إلى طلب السقيا، بإقامة صلاة الاستسقاء، وشارك السلاطين والحكام شعبهم في طلب نزول الماء؛ لما له من عموم النفع لشعوبهم، فتوجه السلطان أبوسعيد عثمان لإقامة صلاة الاستسقاء مشاركة منه لشعبه، بعد تقديم الصدقات والتوسل بالصالحين، ووجد بعض الصالحين الذي شاركوا أهل المغرب الأقصى في الاستسقاء، وتمتعوا بزاد روحي كبير، واتخذوا من الإنفاق على الفقراء والمعدمين مطية لطرق أبواب القبول والرجاء في الله.

وحارب كثير من فئات مجتمع المغرب الأقصى أشكال الاستغلال لشعوبهم أثناء الجوائح المائية، وما يتبع ذلك من الاحتكار والغلاء، وقام المحتسب وتابعوه بدور كبير في ملاحقة المحتكرين والمستغلين لظرف نقص الأقوات والسلع عقب

القحط والسيول، وكشف التواطؤ بين المحتكرين والدلالين ومحاولة الإضرار بالسوق، ونبه الفقه الإسلامي من محاذير التحالف بين المضرين بالسوق؛ مما يؤدي إلى الإضرار بالفقراء والمعدمين.

وقام سلاطين المغرب بنومرين بالإنفاق في أوقات القحوط والمجاعات بسخاء، على الفقراء والمعدمين والفئات الأكثر تضرراً من جوائح الماء، وباشر بعض منهم خدمة الفقراء بنفسه، وقام السلطان أبوالحسن المريني بإسقاط الكُلف والضرائب والوظائف المخزنية رأفة منهم بشعبهم.

أولا : جوائح القحوط ونتائجها.

م	نوع الجائحة	سنة وقوعها	مكان وقوعها	المصدر	نتيجة وتأثير الجائحة
١	قحط	٦٧٢هـ/١٢٧٣م	المغرب وخاصة في سبتة	موسوعة أعلام المغرب, ج١, ص ٤٢٦.	غلاء عظيم وخاصةً في سبتة
٢	قحط	٦٧٣هـ/١٢٧٤م	المغرب وخاصة في تيرجاجت	الروض العاطر الأنفاس, ص ٢١٨. الإعلام,ج٤, ص٢٧٤.	مجاعة ومسغبة عظيمة.
٣	قحط شديد	٦٧٩هـ/١٢٨٠م	المغرب	الاستقصا, ج٣, ص٨٩.	مجاعة شديدة وارتفاع في أسعار المواد الغذائية.
٤	قحط	٦٨٣هـ/١٢٨٤م	المغرب	الاستقصا, ج٣, ص٨٩.	مجاعة شديدة؛ فلم ير الناس قطرة ماء.
٥	قحط	٦٨٧هـ/١٢٨٨م	المغرب	نظم السلوك, ص ١٣٩.	مجاعة استمرت لفترة طويلة.
٦	قحط شديد وريح شرقية متوالية	٦٨٩هـ/١٢٩٠م إلى أخر ٦٩٠هـ/١٢٩١م	المغرب	الأنيس المطرب, ص ٤٠٨, الاستقصا, ج٣, ص٨٩	مجاعة شديدة استمرت لفترة طويلة.
٧	قحط شديد	٦٩٣هـ/١٢٩٣م	المغرب	الأنيس, ص ٤٠٥	غلاء ومجاعة شديدة؛ أدت إلى وباء عظيم بالمغرب؛ مما أدى إلى انتشار الموت

٨	قحط	٧١١هـ/١٣١١م	المغرب	الاستقصا, ج٣, ص ١٧٨	مجاعة
٩	قحط وريح شديدة	٧٢٢هـ/١٣٢٢م	المغرب	الاستقصا, ج٣, ص١٧٩	مجاعة, وأثرت الريح الشديدة على فاس ومكناس وهدمت الدور اقتلعت الأشجار
١٠	قحط ومجاعة	٧٢٣هـ/١٣٢٣م	المغرب	الأنيس المطرب, ٤١٣	ارتفاع أسعار المواد والسلع الغذائية
١١	قحط ومجاعة	٧٢٤هـ/١٣٢٤م	المغرب	الأنيس المطرب, ص ٤٢٣. الاستقصا, ج ٣, ص ١٧٩	مجاعة وغلاء في المغرب
١٢	قحط	٧٢٥هـ/١٣٢٥م	المغرب	الاستقصا, ج ٣, ص١٧٩	مجاعة
١٣	قحط	٧٢٦هـ/١٣٢٦م	المغرب	الاستقصا, ج ٤, ص ١٦٥	مجاعة
١٤	قحط	٧٦٣هـ/١٣٦١م	المغرب	نفاضة الجراب, ج٣, ص ٦١	انتشار الطاعون والوباء في بعض المدن المغربية
١٥	قحط وموجة جدب شديدة	٧٧٦هـ/١٣٧٤م	المغرب	أنس الفقير،ص ١٠٥.الونشريسي، ج ٥, ص ٩٨-٩٩.	انتشار الجوع والخوف على عامة المغرب, وخاصةً في الطرق.
١٦	قحط ومجاعة	٧٩٦-٧٩٩هـ /١٣٩٣-١٣٩٦م	المغرب	الاستقصا, ج٤, ص ٨٥	قحط ومجاعة نتج عنها طاعون فتاك.
١٧	قحط	٨١٦هـ/١٤١٣م	المغرب	إنباء الغُمر، ج ٢, ص ٥٢١	غلاء وانعدام الأقوات أدى إلى وباء؛ وموت كثير من الناس مما لا يحصى عدده
١٨	قحط	٨١٩هـ/١٤١٦م	فاس	شذرات الذهب, ج٩, ص ١٩٨	غلاء أدى إلى طاعون فتاك, فبلغ عدد من ماتوا في شهر واحد ستة وثلاثين ألف إنسان
١٩	قحط ووباء	٨٤٦هـ/١٤٤٢م	فاس	الاستقصا, ج ٤, ص ١٠١	مجاعة أدت إلى انتشار وباء عُرف بوباء عزونة

ثانياً : جوائح السيول وفضانات المياه ونتائجها.

م	نوع الجائحة	سنة وقوعها	مكان وقوعها	المصدر	نتيجة الجائحة
١	فيضانات جارفة	٦٧٧هـ/١٢٧٨م	تامسنا	الأنيس المطرب, ص ٢٧٤	أعاقت الجيوش المرينية العازمة على التوجه إلى الأندلس
٢	سيول جارفة	٧٢٢هـ/١٣٢٢م	مكناسة وفاس وأحوازهما	الاستقصا, ج ٣, ص ١٧٩	هدمت الديار واقتلعت الأشجار, وعطلت الاسفار, واقتلعت من زيتون مكناسة شيئاً كثيراً
٣	مطر وثلج	٧٢٣هـ/١٣٢٣م	أحواز فاس	الأنيس المطرب, ص ٤١٢. الاستقصا,ج٣, ص ٤١٢.	مجاعات شديدة وغلاء مفرط وانعدام ضروريات العيش
٤	إعصار عظيم أدى إلى سيول طامية	٧٢٤هـ/١٣٢٤م	المغرب وفاس	الأنيس الطرب, ص ٤١٣. الاستقصا, ج ٣, ص ١٧٩	هلاك أكثر من ١٥٠شخصاً, وهلاك جميع ما بجبل زالغ من الكروم والزيتون
٥	سيل عظيم	٧٢٥هـ/١٣٢٥م	المغرب وفاس	الأنيس المطرب, ص ٤١٣	خرب الجنات, قلع الأشجار العظيمة, وهدم قنطرة باب السلسلة, والأرحاء, وهدم أربعين حانوتاً
٦	برد وثلج	٧٥٣هـ/١٣٥٢م	سلجلماسة	ابن بطوطة : الرحلة, ج ٤, ٢٧٩	انقطاع السبل وصعوبة التنقل عبر الطرق المنكوبة
٧	سيول جارفة	٧٥٨هـ/١٣٥٧م	وجدة	فيض العباب, ص ٢٥٨-٢٦٠	غير السلطان وجهته ورجع عن غزو قسنطينة
٨	ريح عاصف	٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م	فاس	نفاضة الجراب, ج٣, ص٦٢	
٩	مطر شديد	٧٧٥هـ/١٣٧٣م	المغرب	الاستقصا, ج٣, ص ١٩٥.	سيل عظيم أدى إلى قطع أوراق الأشجار الغليظة

هوامش البحث

١. ابن منظور : لسان العرب، ج ١، ٥٢٨ .

٢. اللخمي، أبو الحسن القيرواني : فتاوى الشيخ أبى الحسن اللخمي القيرواني، جمع وتحقيق حميد محمد لحمر، دار المعرفة، الدار البيضاء، (د- ت)، ص ١٨٧. وقال الشافعي المتوفى عام(٢٠٥هـ/٨٢٠م): " الجائحة ما أذهب الثمر بأمر سماوي، وفي الحديث "أُمر بوضع الجوائح"، والمعنى بوضع صدقات ذات الجوائح، يعني ما أصيب من الثمار بآفة سماوية لا يؤخذ منه صدقة.

٣. ابن منظور : نفس المصدر، ج٦، ص ٧٣٧. وفي الحديث " أعاذهم الله من جوح الدهر" ابن منظور، ج١، ص ٥٢٨.

٤. الرصاع، أبو عبد الله محمد الأنصاري : شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تحقيق محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت١٩٩٣م، ص ٣٩١. "

٥. ابن منظور : لسان العرب، ج ١، ص ٥٢٨.

٦. ابن رشد، الحفيد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جزءان، المكتب الثقافي السعودي بالمغرب، الرباط ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ١٩٠ .

٧. ابن منظور : لسان العرب، ج ١، ص ٥٢٨.

٨. ابن أنس، مالك الأصبحي : المدونة الكبرى، ج ٣، ص ٥٩٠- ٥٩١، ج ٥، ص ٢٥. ابن سلمون، أبو محمد عبد الله بن عبد الله الكناني : العقد المنظم للحكام في ما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام، مخطوطة خزانة عامة، الرباط رقم (ك ١٩٧)، ورقة ١١٨.

٩. ابن رشد، الحفيد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ٢، ص ١٩٠ .

١٠. ابن سلمون، أبو محمد عبد الله بن عبد الله الكناني : العقد المنظم للحكام ، ورقة ١١٨.

١١. ابن رشد الحفيد : بداية المجتهد، ج٢، ص ١٩٠. ابن سلمون : العقد المنظم، ورقة ١١٨.

12. Swearingn, Will, D : Drought Hazard in Morocco, Geographical Review, Vol. 82, No.4, p 402.

١٣. محمد عبد الفتاح القصاص : تدهور الأراضي في المناطق الجافة، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٤٢، فبراير/ شباط ١٩٩٩مو ص ٦٩.

١٤. عن القحوط والمجاعات في المغرب الأقصى عصر الموحدين، ابن عذاري، المراكشي : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٥٩ وما بعدها. ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ثمانية أسفار في أربعة أجزاء، الجزء الأول والرابع تحقيق محمد بن شريفة، والجزء الثاني والثالث تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت(د- ت)، ج ٤، ص ١٧٥ . عبد العزيز ابن عبد الله:

العوامل الاجتماعية والاقتصادية للمشكل الديمغرافي بالمغرب، ندوة الماء والتغذية وتزايد السكان، القسم الثاني، أكاديمية المملكة المغربية،مراكش١٩٨٢م، ص ٣٧.

١٥. ابن عذاري المواكشي : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ، ٢٦٦,٢٦٠، ٢٦٧ . ٣٢٥و ٣٣٩. الحميري :الروض المعطار، ص ٦٠٥ الجزنائي: مصدرسابق، ص ٤٥. السبتي: اختصار الأخبارو ص ٨٣.ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٢٧٦. ٢٧٧. السبتي: اختصار الأخبارو ص ٨٣. ابن القاضي : جذوة الاقتباس،ج ١و ص ٣٥. السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص٥،ج ٢، ص ٢٠٩.ابن القاضي : جذوة الاقتباس،ج ١و ص ٣٥.

١٦. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٠٢.

١٧. محمد حجي: موسوعة أعلام المغرب، عشرة أجزاء، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٢٦.

١٨. ابن عيشون : الروض العاطر الأنفاس، ص ٢١٨. السملالي، العباس بن إبراهيم : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ٤، ص ٢٧٤.

١٩. السلاوي :الاستقصا، ج ٣، ص ٨٩. محمد الأمين البزاز : الجراد والجوع والأمراض خلال العصور القديمة والوسطى، مجلة المناهل، وزارة الأوقاف المغربية، العدد٦٩-٧٠،الرباط ٢٠٠٤م، ص ٣١١.

٢٠. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٠٥.

٢١. السملالي : الاستقصا، ج ٣، ص ٨٩.

٢٢. الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز : نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، نشر عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ص ١٣٩. محمد الأمين البزاز : الجراد والجوع والأمراض خلال العصور القديمة والوسطى، ص ٣١١.

٢٣. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٠٨ . السملالي : الاستقصا، ج ٣، ص ٨٩.

٢٤. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٠٥.

٢٥. السلاوي : الاستقصا، ج ٣، ص ٩٠. محمد كمال كامل محمود : التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عهد بني مرين، ص ١٠٠.

٢٦. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٤١١.

٢٧. مختار البزيوي : مرجع سابق، ص ٢٩٢.

٢٨. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٩٥.

٢٩. السلاوي : الاستقصا، ج ٣، ص ١٧٨.

٣٠. السلاوي : الاستقصا، ج٣، ص ١٧٩.

٣١. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص٤١٣.

٣٢. نفس المصدر، ص ٤١٣-٤١٤.

٣٣. السلاوي : الاستقصا، ج ٣، ص ١٧٩. محمد كمال كامل محمود : مرجع سابق، ص ١٠٠. محمد الأمين البزاز : مرجع سابق، ص ٣١٢. "

٣٤. السلاوي : نفس المصدر، ج ٤، ص ١٦٥.

٣٥. ابن حجر، أحمد بن على العسقلاني : بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض (د- ت)، ص ٣٧١. عبد الهدي البياض : مرجع سابق، ص ٣٥.

٣٦. ابن خلدون : المقدمة، ص ٣٧٦.

٣٧. ابن الخطيب : رحلة لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب، عن كتاب نِفاضة الجراب في عُلالة الاغتراب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، ص ٦٦.

٣٨. السلاوي : الاستقصا، ج ٤، ص ٨٣.

٣٩. ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ١٠٥.

٤٠. الونشريسي : ج ٥، ص ٩٨-٩٩. "

٤١. ابن الأحمر : روضة النسرين، ص ٥٠. عبد الهادي البياض : مرجع سابق، ص ٣٦.

٤٢. السلاوي : الاستقصا ، ج ٤، ص ٨٥.

٤٣. ابن حجر: إنباء الغُمر بأنباء العُمر، ج ٢، ص ٥٢١.

٤٤. ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الفكري الحنبلي الدمشقى : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أحد عشر مجلداً، تحقيق عبد القادر الأرناؤط ومحمد الأرناؤط دار ابن كثير، الطبعة الأولى،دمشق ،بيروت١٤٠٤هـ/١٩٩٣م، ج ٩، ص ١٩٨ .

٤٥. ابن العماد : المصدر السابق، ج ٩، ص ١٩٨.

٤٦. السلاوي : الاستقصا، ج ٤، ص ١٠١.

٤٧. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٢٩. ٣٠.

٤٨. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٢٩. السلاوي : الاستقصا، ج ٣، ص ٥٠.

٤٩. السلاوي : الاستقصا، ج ٣، ص ١٧٩.

٥٠. محمد الأمين البزاز : مرجع سابق، ص ٢٨٦.

٥١. السلاوي : الاستقصا، ج ٣، ص ١٧٩.

٥٢. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٤١٢.السلاوي : نفس المصدر، ص ١٧٩.

٥٣. ابن أبي زرع : الأنيس، ص ٤١٣.

٥٤. السلاوي : نفس المصدر، ص ١٧٩. عبد الهادي البياض ك مرجع سابق، ص ٥٦.

٥٥. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٤١٣.

٥٦. ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن، ص ٤١٨.

٥٧. ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ج٤ ، ص ٢٧٩.

٥٨. ابن الحاج النميري " مصدر سابق، ص ٢٥٨- ٢٧٠.

٥٩. ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص

٦٠. ابن الأزرق : مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٦.

٦١. ابن خلدون : المقدمة، ص ٤٢٩.

٦٢. ابن عباد، المعتمد : ديوان المعتمد بن عباد، جمعه وحققه أحمد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد، أشرف عليه وراجعه طه حسين، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥١ م، ص ٨٩. إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، دار الطليعة للنشر، بيروت ١٩٩٧م، ص ٨٩.

63. Geertz،Clifford ; The Wet and Dry: Traditional in Bali and Morocco،JHE،vol.1، No.1،1972، p 35.

٦٤. القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١١١.

٦٥. ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرا، ص ٦٣-٦٤.

٦٦. ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرا- ص ٦٤.

٦٧. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود : المستغيثين بالله تعالى عند الحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات وما يسر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات، ضبط نصه وعلق عليه غنيم عباس غنيم، دار المشكاة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٤٤.

٦٨. القشتالى، أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي : تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبى مروان ، تحقيق فرناندو لاجرانخا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد السابع عشر، مدريد١٩٧٢ -١٩٧٣م، ص ١٢٥ .

٦٩. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٩٨. السلاوي : الاستقصا، ج ٣، ص ١٧٨.

٧٠. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٤١٣.

٧١. ابن الزيات : التشوف إلى رجال التصوف، ص ٢٣٥.

٧٢. القشتالى، أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدى : تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبى مروان ، تحقيق فرناندو لاجرانخا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد السابع عشر، مدريد١٩٧٢ -١٩٧٣م، ص ٦٠.

٧٣. ابن الحاج : المدخل، ج ٤، ص ١٧٣.

٧٤. ابن عبدون : مصدر سابق، ص ٤٢.

٧٥. ابن عبدون : نفس المصدر، ص ٤٢.

٧٦. عبد الهادي البياض : مرجع سابق، ص ١١٣.

٧٧. الونشريسي : ج ٦، ص ٤٢٥.
٧٨. ابن عبدون : مصدر سابق، ص ١٠٩.
٧٩. ابن عبدون : نفس المصدر، ص ٤٢. ابن فرحون : تبصرة الحكام، ج ١ ، ص ٢٠٠
٨٠. الونشريسي : ج ٦، ص ٤٢٦.
٨١. المجليدي : مصدر سابق، ص ٥١-٥٢.
٨٢. ابن عبدون : ثلاث رسائل، ص ٤٢.
٨٣. ابن فرحون : تبصرة الحكام، ج ١، ص ٢٠٠
٨٤. ابن عبدون : ثلاث رسائل، ص ٤٢.
٨٥. ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢و ص ١٦٨.
٨٦. الونشريسي : ج ٦، ص ٤٢٥.
٨٧. ابن عبدون : ثلاث رسائل، ص ٤٢.
٨٨. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب
٨٩. الونشريسي : ج ٨، ص ٢٩.
٩٠. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٤١٤.
٩١. ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن، ص ٤٢٠.
٩٢. ابن مرزوق : نفس المصدر، ص ١٩١.
٩٣. السلاوي : الاستقصا، ج ٣، ص ١٧٩.
٩٤. ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ٤، ص ١٩٩ . وأزواج الحرث : يقصد أنه أعطى للفقير الذي لا يمتلك أرضاً، أعطاه أرضاً نحو الفدان والبعض قدرها بالهكتار، والزوجان هنا تعني البغلان أو الثوران، ويُقصد من ذلك أنه أعطى للصبيان والزمنى قطعة أرض مقدار ما يحرثه زوجان من الثيران.
٩٥. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس احمد : كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٤٦.
٩٦. ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن، ص ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥.
٩٧. ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، ص ١١٨.
٩٨. الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري: سراج الملوك، حققه وضبطه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة،١٤١٤هـ/١٩٩٤م،ص٥٠١.